المشير الجمسى

- حرب أكتوبر ليست آخر الحروب !
- سيناء عادت بالحرب وليس باتفاقية السلام .
- حائط الصواريخ وإعادة بناء القوات المسلحة آخر إنجازات عبد الناصر .
- إسرائيل حددت موعد الحرب بدرجة خطأ ثلاث ساعات .
- تلقى « ديان » موعد حرب أكتوبر على الخط الأحمر وهو نائم !

obeikandl.com

لاشك أن كل شخصية تحاورت معها تركت فى نفسى أثرًا كبيرًا بل وأضافت إلى مداركى معلومات كثيرة وربما لقنتنى درسًا لا ينسى ! وعلى يد المشير محمد عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع الأسبق وأبرز وأشهر قادة حرب أكتوبر تلقيت هذا الدرس : كان موعدنا الساعة العاشرة صباحًا بأحد الأندية الرياضية الشهيرة والتى يمارس فيها رياضة المشى كل صباح ، ونظرًا لأننى لم أكن عضوة بالنادى ولارتباطى بموعد مع زميلى المصور الصحفى أمام بوابة النادى قبل الدخول فقد تأخرت على موعدى عشرة دقائق وفوجئت بالمشير الجمسى يشيح بوجهه عنا وهو يرانا ندلف من ممر طويل يصل بين البوابة وملعب " الكروكيه " الذى يفضل الجلوس به كل صباح لاحتساء الشاى والقهوة مع مجموعة من أصحابه المقربين ، فتوجهت إلى ضابط الأمن المرافق لنا مستفسرة : لماذا يشيح المشير بيده ووجهه بعيدًا عنا .. هل يقصدنا ؟ .. ولم أجد تفسيرًا لديه حتى اقتربت من المشير فبادرنى متجهمًا : كم الساعة فى يدك ؟ فأجبت : العاشرة ثم صمّت قليلاً وأكملت : وعشر دقائق ، فتابع حديثه وكم موعدنا ؟ فأجبته العاشرة .. فتوجه إلى متسائلاً : هل تعرفين كم تساوى عشرة دقائق تأخير فى فترة الحرب .. لم أجد إجابة .. فأكمل توبيخه قائلاً : ها أنتم جيل الشباب تستهترون بالوقت ولا تدركون قيمته ولا تعلمون لماذا قامت حرب أكتوبر فى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق ظهرًا ولم تتأخر خمس دقائق لأن ذلك يعنى الكثير من الأرواح والأموال والعتاد .. وبالطبع حدثتك نفسك بأنك ستقابلين شخص على المعاش يجلس يتسامر مع الأصدقاء ولا ضرر فى التأخير عليه لأنه لا يجد ما يشغله ! وعبثًا ذهبت محاولاتى فى الاعتذار وبأننى وصلت قبل الموعد المحدد ولكن اختلا[illegible]ان اللقاء بينى وبين زميلى المصور الصحفى وإجراءات دخول النادى هى التى استغرقت وقتًا تسبب فى التأخير.

وأصر المشير على عدم إتمام الحوار رغم كل محاولات الاعتذار والإقناع ، ولكنه أصر على شئ غريب قبل مغادرتى المكان وهو أن أتلقى واجبى - على حد قوله - لأنه فلاح مصرى أصيل يعرف الأصول وبلهجة أمرة ألح على معرفة ماذا أريد أن أشرب وكذلك زميلى ، وطلب لنا كوبين من الشاى وجلس كخير مضيف لمدة عشر دقائق .

ربما كانت هذه الدقائق العشرة هى الفرصة الوحيدة لإقناعه بتحديد موعد آخر وتوضيح الأمر بالنسبة له .. وبالفعل نجحت المحاولة وبدأت إرهاصات صداقة عميقة استمرت فيما بعد مع المشير الجمسى وخرجنا بموعد جديد فى الأسبوع التالى حرصت على الذهاب قبله بنصف ساعة كاملة .. وتوالت اللقاءات بعد ذلك مع هذه الشخصية الحازمة والصارمة وتعددت الاتصالات الهاتفية ولكنه كان – بلا شك – درسًا مستفادًا جعلنى فيما بعد أحرص على الحضور مبكرًا قبل موعد أى شخصية لإجراء حوار معها .

ويأتى ترتيب المشير الجمسى السابع فى عائلته بعد أخ وخمس بنات ، رغم ذلك لم يكن مدلَّلاً على الإطلاق ، لأنه الوحيد الذى انتظم فى المدرسة بين أفراد عائلته ، فى ذلك الوقت ، فكان الأكثر تعرضًا للضغط من الأهل للانتظام الدراسى حيث كان الاهتمام بالناحية العلمية يسوء تدريجيًا فى المجتمع .

سيادة المشير هل اخترت بنفسك دخول الكلية الحربية أم دفعك أحد أفراد عائلتك لهذا الاختيار ؟

عندما أنهيت الدراسة الثانوية كان التعليم الجامعى بمصروفات ، وأتيح لكل من كان قادرًا على دفع المصاريف اختيار الكلية التى يرغبها ، ولم تكن هناك مشكلة عدد أو مكتب تنسيق كما يحدث الآن فالمعيار كان القدرة على دفع المصروفات فقط .

لماذا اخترت أن تكون ضابطًا بالذات ؟

رغبة فى التميز ، لأنه لم يكن هناك من عائلتى ولا من قريتى " البتانون " مركز شبين الكوم ضباط ولا حتى فى القرى المجاورة فتأثرت بهذه الرغبة ، واتجهت للمجال العسكرى .

ما هى الصفات التى توفرت فى شخصيتك ودفعتك لدخول الكلية الحربية ؟

الإحساس المبكر بالرجولة وروح المغامرة ، وملكة القيادة .. والقوة وسط أقرانى ، وقد تحقق ذلك لشخصى فى قريتى وسط فلاحيها ، فضلاً عن الرغبة فى التميز .

كيف كانت معايير الاختيار عند دخول الكلية الحربية ؟

كانت المعايير قاسية وصعبة .. أولها اللياقة الطبية بصفة أساسية ، حيث كان الطالب يتعرض لكشف طبى من شعر رأسه حتى أطراف أصابعه .. كأنه مولود جديد ، وكان ذلك هو المرجع الاساسى .. فإذا لم يكن الطالب لائقًا طبيًا يستبعد ، وبعد ذلك كان كشف الهيئة وفى ذاك الوقت كان الوضع الإجتماعى هو المسيطر فى الاختيار ، وربما يستثير ذلك سخط الناس حاليًا ، ولكنه – فى رأيى – شرط أساسى لاختيار من سيتولون حماية البلاد ، والمقصود بالناحية الاجتماعية هو سلوك الأب والأم والأخوة والأخوال والأعمام ، وألا تكون أسرة الطالب متهمة بتهمة مشينة ، مثل السرقة أو التهريب أو أن يكون أحد أفرادها قاطع طريق أو مدلس أو متشرد ولهذا كانت ممتلكات الشخص ووالديه وعائلته تقدم كوثائق من بين أوراق التقديم حتى يتم التعرف على حالته المادية والأدبية والاجتماعية بالإضافة للتحريات التى تأتى عبر الأجهزة المختلفة لمعرفة سمعة العائلة والطالب ومازال جوهر هذا النظام موجودًا وإن اختلفت المعايير .

ولكن ملاحظ أن المواصفات الجسدية للمشير الجمسى تقل عما هو متوافر لدى طلاب الكلية الحربية اليوم ؟

ابتسم قائلاً : .. إطلاقًا ولكن ربما لأننى دخلت الكلية الحربية صغير السن ، حيث كان أصغر سن للقبول هو ١٧ عامًا ، ودخلت الكلية الحربية وعمرى سبعة عشر عامًا وواحد وعشرون يومًا ، وكان أكبر سن وقتها واحد وعشرون عامًا ، فكان الفارق بينى وبين باقى طلاب الدفعة أربع سنوات .. بينما كنا فى فصل واحد ، وكثيرًا ما كان يرسب الطلاب بينما اجتزت كل سنوات الكلية الحربية بنجاح ـك أصبحت متفوقًا وقائدًا لطلاب أكبر منى سنًا وتكرر الحال بعد تخرجى فى الكلية .

بعد مرور أكثر من ربع قرن على حرب أكتوبر ما الذى تبقى منها الآن ؟

تبقى من الحرب نتائجها وستظل حرب أكتوبر علامة مميزة فى الصراع العربى الاسرائيلى .. **النتيجة الأولى** لها هى تحطيم نظرية الأمن الإسرائيلى التى اتخذوها ستارًا للتوسع على حساب الدول العربية ونجاحنا سيظل باقيًا ولن يتغير مما جعل وزير الدفاع

الأمريكى جميس شلزنجر يعترف قائلاً : " سقطت نظرية الأمن الإسرائيلى .. وهالة إسرائيل التى لا تقهر يجب إعادة النظر فيها " .

أما النتيجة الثانية فكانت استخدام البترول كسلاح فى المعركة امتدادًا للعمل العسكرى وتأييدًا له مما أحدث طفرة هائلة فى أسعاره لا يزال رد فعلها قائمًا .

النتيجة الثالثة أن حرب أكتوبر وضعت حدًا فاصلاً بين عهدين للقضية الفلسطينية ، فقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن هناك إحساس بها بينما الآن أصبحت مطروقة ومحل حديث العالم وتكتل الفلسطينيون ليكون لهم دولة بعد أن كانت قدرتهم على ذلك قبل الحرب ضعيفة .

وكرجل عسكرى محترف أسترجع قول رئيس الأركان الإسرائيلى فى ذلك الوقت : "إن لكل حرب مفاجآتها والمفاجأة التى حدثت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ هى كفاءة المقاتل العربى" وشهادة العدو للمقاتل العربى بهذا الشكل باقية لأن التطور الذى يحدث فى القوات المسلحة العربية منذ انتهاء الحرب حتى الآن يعد مكسبًا كبيرًا لنا .

الخطة بدر

متى بدأ التخطيط للعملية العسكرية (بدر) - هل هى مجرد تطوير لخطط سابقة أم خطة ذات محددات خاصة ؟

بحماس شديد أجاب المشير الجمسى مؤكدًا : " أرجو ممن يكررون أن عملية بدر امتداد لخطط سابقة نسيان هذه " الأكذوبة " .. آسف لإطلاقى عليها لفظ أكذوبة ولكننى حضرت العهدين : منذ نكسة يونيو ١٩٦٧ ثم أصبحت رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة اعتبارًا من الأسبوع الأول فى يناير ١٩٧٢ .. أعترف أنه كان هناك خطط قبل هذا التاريخ مثل الخطة ٢٠٠ التى زعم عنها أحد القادة العسكريين السابقين أنها هجومية ولكنها كانت – مع شديد الأسف دفاعية بعد هزيمة يونيو لصد أى عدوان عن قناة السويس ولقد اشتركت فيها ولازالت وثائقها فى وزارة الدفاع حيث توليت منصب رئيس الأركان وكان الفريق أول أحمد إسماعيل قائدًا لمنطقة القنال .

وهناك خطط كثيرة نسب أصحابها لأنفسهم بطولات زائفة كمن أدعى أن عملية بدر سميت بالشرارة بناء على عبارة قالها الرئيس السادات فى خطاب له : "وبدأت الشرارة فى الشرق الأوسط".

ولكى أكون منصفًا فإن كل ما حدث فى عهد عبد الناصر بعد نكسة ١٩٦٧ هو إعادة بناء للقوات المسلحة المصرية وجلب أسلحة من الاتحاد السوفيتى بكميات كبيرة وإقامة حائط صواريخ وإحداث تغيير فى قيادات القوات المسلحة على ضوء ما حدث فى حرب يونيو .. هذه الإنجازات انتهت بموت عبد الناصر وسجلت له باعتباره رئيسًا للدولة فى تلك الفترة أما الاستعداد لحرب أكتوبر وتنفيذ خطة بدر والحصول على نتائجها السياسية فيعود فضل ذلك إلى الرئيس السادات .. وكلا الرئيسين يكمل الآخر فى قيادة الدولة .. أقول ذلك للحقيقة والتاريخ .

نشر أن هناك معلومات مؤكدة حول احتمالات قيام مصر بشن الحرب يوم ٥ أكتوبر ، فهل كانت الحرب - بالفعل - مفاجأة لإسرائيل ؟

بشهادة ديان فى الوثائق التى لازلت أحتفظ بها يقول : " كانت الحرب مفاجئة لإسرائيل ولو أننا كنا مستعدين لها " وقال فى عبارة أخرى : " اعتبرت حرب أكتوبر ١٩٧٣ بمثابة زلزال حدث لإسرائيل " وعندما سئل " إيلى زعيرة " مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية – بعد الحرب كيف تكون مفاجأة بالنسبة له وهو لا يدرى وأدخلوه محكمة " أجرنات " حكموا عليه بالرفت من الخدمة العسكرية نهائيًا لأنه لم يقدر التقدير الصحيح .. فالحرب كانت مفاجأة بشهادة الجميع .

كما كتب الدكتور "وليم كونت" مساعد هنرى كيسنجر " – مستشار الأمن القومى الأمريكى فى ذلك الوقت – فى مذكراته أن حرب أكتوبر كانت مفاجئة لكل الدول العربية والأجنبية بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية لأن ما حدث أثناء الحرب أن قواتنا الجوية ضربت ضربتها ثم أعقبتها المدفعية تلى ذلك باقى القوات بينما لم يتمكن العدو الإسرائيلى من تعبئة قواته إلا فى الأيام التالية فهى بالقطع مفاجأة للجانب الإسرائيلى وإلا – على الأقل – كان عليه أن يحمى سيناء بالطيران الذى يعد القوة الضاربة الرئيسية

لإسرائيل ورمز قوتها فى المنطقة ، لكى أكون أكثر دقة فإن مذكرات ديان وعدد من القادة العسكريين الإسرائيليين قالت أنه فى الساعة الرابعة صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تلقى ديان على هاتفه الأحمر – المخصص للطوارئ – مكالمة بينما كان نائمًا فحواها أن المخابرات العسكرية الإسرائيلية علمت من مندوب لها أن الحرب ستقوم فى نفس اليوم ولكنه توقع قيامها بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ، الساعة الخامسة مساء وبناء على كلام هذا العميل – موضع ثقتهم – اتخذوا إجراءات الحرب وأعدوا الطيران واستعدوا بأفراد الجيش لكن النتيجة النهائية أنهم قدروا قيام الحرب بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ولكننا بدأناها الساعة الثانية وخمس دقائق قبل الوقت الذى حدده العميل ولا يمكن لأى دولة أن تبنى خططها على معلومات عميل واحد فقط ، (ثم صمت قليلاً وعاد ليقول) : " أذكر أنه فى ذلك الوقت تسربت معلومات بوصول بعض طائرات سوفيتية لمصر وسوريا لترحيل العائلات السوفيتية إلى بلادها يوم ٤ أكتوبر وكانت هذه العلامة المميزة تنبئ أن هناك شيئًا ما سيحدث " .

" قرار الحرب " كيف اتخذه الرئيس السادات .. ما هى آلياته .. هل كانت نتيجة لاستشارات عسكرية أم قرار من المجلس الأعلى للقوات المسلحة أم من تلقاء نفسه ؟

يجب أن نفرق بين أمرين : قرار الحرب وهو قرار سياسى تقع مسئوليته على رئيس الدولة أينما وجد وهو الذى يحدد مسئولية القوات المسلحة فى العمل العسكرى أما المجلس الأعلى للقوات المسلحة فهو مسئول عن إدارة العمليات العسكرية بالكامل تخطيطًا وتنفيذًا وتطبيقًا لهذا فالمهمة أو الهدف السياسى الذى حدده السادات كرئيس دولة من كامل اختصاصه .. فقد حدد للقوات المسلحة أن تتحدى نظرية الأمن الإسرائيلى وصدر بذلك قرار رسمى فى أول أكتوبر ١٩٧٣ أما المجلس الأعلى للقوات المسلحة فعليه تحويل الهدف السياسى إلى عمل عسكرى : هجوم – دفاع – تسليح – انسحاب أو ضرب مواقع لذا فإن عملية بدر من صنع القوات المسلحة المصرية وليس للرئيس السادات دخل بها .

الخطة

وأين دور المشير الجمسى فى خطة الحرب ؟

كنت سعيد الحظ لأننى عينت رئيسًا لهيئة العمليات ، فى الأسبوع الأول من يناير ١٩٧٢ ، فعاصرت الخطة من بدايتها إلى نهايتها كرئيس لهيئة العمليات ، وبحكم هذا المنصب فإن هيئة العمليات هى المسئولة عن إعداد خطة الحرب وإدارتها كجزء من القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان هذا دورى ، وكان من توفيق الله أننى ساهمت بدور فى وضع الخطة وتنفيذها من البداية ، وكان هذا دورى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو دور أعتز به كثيرًا .

لماذا إذن كتبت خطة المعركة بخط يدك وعرضها المشير أحمد إسماعيل على الرئيس السادات فى برج العرب قبل المعركة ؟

لضمان السرية .. فقد كنا نتكتم كل شئ خاص بخطة الحرب ، وتم فرض قيود مشددة داخل القوات المسلحة وخارجها .. فكتبت بخط اليد لضمان عدم تسربها لأى شخص لأنها إذا كتبت على الآلة الكاتبة يمكن أن يتدخل فيها كثيرون ، وما تم عرضه على السادات فى برج العرب فى إبريل ١٩٧٢ هو الجزء الخاص بتوقيت الحرب ، لأن توقيت الحرب تكون له خطة منفردة ، وكانت هناك توقيتات مقترحة من القيادات العسكرية لكى تقوم الحرب خلال العام ١٩٧٣ .. وكان أمامنا عدة توقيتات ، إما مايو أو أغسطس أو أكتوبر ١٩٧٣ .. وكل ذلك تم عرضه على الرئيس السادات ليتخذ القرار السياسى بالحرب على ضوء مقترحاتنا العسكرية فى القيادة العامة للقوات المسلحة ، لأن قرار الحرب أولاً وأخيرًا هو قرار سياسى ولذلك سافر السادات فى أغسطس ١٩٧٣ ، إلى المملكة العربية السعودية ، وقطر وسوريا ، وكانت هذه المرحلة مخططًا لها من وجهة نظر السادات لمقابلة الرئيس الأسد يومى ٢٨ ، ٢٩ أغسطس ، حيث اتفقا على أن تكون الحرب يوم ٦ أكتوبر وهو أحد التوقيتات التى اقترحتها فى ذلك الوقت للقيادة العامة المسلحة.

ولماذا تم اختيار يوم ٦ أكتوبر بالذات للحرب ؟

تحديد يوم الهجوم عنصر رئيسى وأساسى فى الحرب ، على المستوى الاستراتيجى ، وعلى هذا الأساس كانت هناك دراسة طويلة وعميقة فى هيئة عمليات القوات المسلحة

المصرية لعملية اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف ، وقد بحثنا أولاً النواحى الفنية للقناة من حيث المد والجزر ، وسرعة واتجاه المياه ... ووجدنا فرقًا فى المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر فى القناة ، والذى كان فى ذلك الوقت ٢٠ سم فى القطاع الشمالى من الإسماعيلية إلى بورسعيد و ٢ متر فى القطاع الجنوبى من الإسماعيلية إلى السويس .. وتختلف سرعة التيار فى القطاع الشمالى من ١٨ مترًا فى الدقيقة إلى ٩٠ مترًا فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى .. وكان اتجاه تيار المياه يتغير ٤ مرات فى اليوم من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال ، وكنا ندرس هذه المعلومات الفنية لنعرف تأثيرها على وسائل العبور ، وهى القوارب والمعديات ، وكذلك تأثيرها على إنشاء الكبارى الموجودة ، كما درسنا الضوء ليلاً ، وكنا نهدف من وراء ذلك إلى اختيار ليلة طويلة ، جزءها الأول قمرى والثانى مظلم ، حتى يمكننا بناء الكبارى فى ضوء القمر ، وحتى تعبر القوات فى الظلام ، هذا فضلاً عن دراسة العوامل الجوية ... مثل حالة الطقس وصلاحيته للقوات الجوية ، وحالة البحرين الأبيض والأحمر ، ثم كنا نريد توقيتًا معينًا تكون فيه القوات الإسرائيلية أقل استعدادًا للحرب ، هذا بالإضافة إلى أن انتخابات الكنيست كان قد تحدد لها يوم ٢٨ أكتوبر والجيش فى إسرائيل كما نعلم يشارك فى الحياة السياسية ، وكأن الجيش الإسرائيلى وقتها أكثر استعدادًا للانتخابات من استعداده للحرب ، ويبقى أن الجيش الإسرائيلى مثل جبل الجليد قمته الصغيرة هى الجيش العامل أما القاعدة الكبيرة فهى جيش الاحتياطى ، الذى يتم الإعتماد عليه أكثر ، بالإضافة إلى نواحى أخرى كثيرة وصلنا منها إلى أن شهر أكتوبر هو أنسب الشهور ... ولذلك استقر الرأى عليه أخيرًا .

ساعة الصفر

من هم الذين كانوا على علم بساعة الصفر تحديدًا ؟

ساعة الصفر لم تعرف إلا فى آخر وقت ، ولم تعلن على القوات المسلحة إطلاقًا ، فلقد فرضنا سرية مطلقة يوم وساعة الحرب .. وأصدرت القيادة العامة تعليمات بتحديد من يتم إعلامه بموعد الحرب ، وفى أى وقت حسب المستوى ، بمعنى أن قادة الجيش وقادة

الفروع الرئيسية مثل الطيران والدفاع الجوى والبحرية هم فقط الذين يعلمون ، اليوم تحديدًا ولا يبوحون به مطلقًا للمرءوسين إلا بتوقيتات وتعليمات محددة ، إلى أن ينتهى الأمر بأن تعلم القوات المسلحة أنها سوف تحارب يوم ٦ أكتوبر .

من المؤكد أنه كانت وجهات نظر مختلفة لتحديد ساعة الصفر فما الذى اتفق عليه المشير الجمسى مع زملائه وما الذى اختلف حوله لتحديد أخطر ساعة فى تاريخ مصر ؟!

أستطيع التأكيد بأنه لم تكن هناك أية صراعات بشأن عمليات الحرب داخل هيئة العمليات ، لأن الأمر يتم بطرح وجهات النظر ثم الاتفاق نهائيًا على وجهة نظر واحدة ، ليصدر القرار الذى يلتزم به الجميع ، وكل الجهد الذى بذل تم تنسيقه بواسطة هيئات العمليات ، وكان من فضل الله علّى أننى كنت رئيس هيئة العمليات فى ذلك الوقت واتفقت الآراء ووصلنا إلى الرأى النهائى ، وكان هذا حصاد تفكير مجموعة ضباط هيئة العمليات وضباط آخرين ذوى فكر متميز فى الفروع الرئيسية للقوات المسلحة وهى البحرية و الطيران والدفاع الجوى ، وهذا الجهد تم تركيزه فى الكشكول الذى أطلق عليه الرئيس السادات " كشكول الجمسى "وهو فى رأيى كشكول هيئة العمليات وليس كشكول الجمسى .

وماذا كان الهدف من تحرير سيناء على مراحل ، هل لأن قدراتنا العسكرية وقتها لم تكن تسمح بتحريرها كليًا أم أن لعبة التوازنات الدولية بالنسبة للاتحاد السوفيتى وقتها كانت ترفض حربًا فى الشرق الأوسط يمكنها التأثير على مجريات الصراع السياسى مع الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الأخرى ؟

نحن نلتزم دائمًا بالتوجيه الإستراتيجى ، والتوجيهين اللذين أصدرهما الرئيس السادات ، الأول كان فى أول أكتوبر لعام ١٩٧٣ والثانى فى ٥ أكتوبر وكلها وثائق مكتوبة وليست مجرد أوامر شفهية .. ولاشك أنها من ضمن وثائق الدولة للحرب ، وهى موجودة فى وزارة الدفاع ووقع عليها الرئيس السادات ، وجاء فيها أنه يتحمل مسئولية إصدار قرار الحرب على ضوء أن القوات المسلحة تقوم بتحدى نظرية الأمن الإسرائيلى بإمكاناتها

العسكرية فى ذلك الوقت ، وأن تحطيم نظرية الأمن الإسرائيلى هـو الـذى سـوف يحقـق نتائج الحرب من الناحية السياسية ، ثم أضاف التوجيه الثانى فى ٥ أكتوبر الـذى حـدد من خلاله المهام الاستراتيجية للقوات المسلحة المصرية والتى تتمثل فى :

أولاً : كسر وقف إطلاق النار يوم ٦ أكتوبر .

ثانيًا : تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد .

ثالثًا : تحرير سيناء على مراحل متتالية ، طبقًا لقدرات القوات المسـلحة المصريـة ، وهذا ما قمنا به حقيقة فى حدود قدراتنا ... فقد نفذنا حرب ١٩٧٣ ، ولم يطلب التوجيـه تحرير سيناء على مرحلة واحدة ، ولكنه قال على مراحل ، كما جاء فـى التوجيـه الأول : نريد تحطيم نظرية الأمن الإسرائيلى ، ولم يذكر كلمة تحرير سيناء ، ولكن بالتتابع فـإن نتيجة الحرب تحدث آثارًا سياسية ، نتيجة لتحطيم نظرية الأمن الإسرائيلى ، والتى بنـاء عليها يتم السلام أو تحرير الأرض وهذا ما تم فعلاً .

قيل أن الخطة الأولى لشن الحرب كانت خطة (المآذن العالية) التى ركزت على احتلال رؤوس كبارى ثم تم تطويرها .. هل كنتم تعتقدون أنه يمكن تطوير الهجوم ؟ ولماذا لم يحدث ؟

"المآذن العالية" كانت فى مرحلة سابقة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقبل خطـة " بـدر " وضعت خطط كثيرة حيث أن أى قوات مسلحة لابد لها من خطـط خاصـة .. ولكننـى – شخصيًا – لم يكن لى أى ارتباط بخطة المآذن العالية ولا أستطيع التعليـق عليـها لأنـها بالنسبة لى كخطة " دانكرك " فـى الحـرب العالميـة الثانيـة أو " عيـن جـالوت " فـى التاريخ القديم .

ولكن .. لماذا لم يتم تطوير الهجوم ؟

بالعكس .. لقد طورنا الهجوم يوم ١٤ أكتوبر بينما كان من المفترض تطويـره يـوم ١٣ وإذا به يتأجل بناء على طلب قادة الحرب لمزيد من الاستعداد وبالفعل تم التطويـر يـوم ١٤ لكى نصل إلى خط المضايق ولتخفيف الضغط على سوريا بناء على طلبها بواسـطة

مساعد وزير الدفاع اللواء عواد باغ الذى جاء لمقابلة الرئيس السادات وتساءل عن أسباب توقفنا وطالب الفريق أول أحمد إسماعيل – القائد العام للجبهتين – بتنشيطهما وحدث التطوير الذى لم يكن ناجحا من وجهة نظرنا كقائد ، ولم يصل إلى خط المضايق حيث تدخلت أمريكا بجسر جوى خاص بها اعتبارًا من ١٣ أكتوبر وأنزلت طائراتها فى العريش خلف جبهتنا مباشرة ، صحيح أنها لم تنطلق ضدنا ولكنها أثرت سلبًا على قواتنا ولكى يتأكدوا من معلوماتهم عن القوات المصرية أرسلت أمريكا طائرة بدأت من البحر المتوسط ثم جابت بورسعيد والإسماعيلية والسويس والوجه القبلى وصعدت حتى الساحل الشمال والغردقة وسفاجا وهى من نوع (إس آر ٧١) الذى لم يمتلكه فى ذلك الوقت سوى أمريكا وروسيا ، كانت تسير بسرعة تفوق ثلاثة أمثال سرعة الضوء وعندما أردنا التصدى لها بطائرات مقاتلة أو صواريخ لم نستطع لأنها تطير بارتفاع ٢٧ كم بينما آخر مدى لدينا بلغ ٢٥ كم وبذلك حصلوا على المعلومات يوم ١٣ واستعدوا لنا يوم ١٤ فخسرنا معركة الدبابات الكبيرة التى حدثت فى هذا اليوم وإن كانت إسرائيل قد خسرت عددًا يفوق الذى خسرناه من اليوم الأول إلى اليوم الرابع عشر من أكتوبر .

ذكرتم فى مذكراتكم أن الرئيس السادات قام بإبلاغ هنرى كيسنجر بنطاق عمليات الجيش المصرى يوم ٧ أكتوبر - فلماذا قام بذلك ؟

كنا وقتها فى اليوم الثانى للقتال .. عبرنا واستطعنا صد هجمات العدو المضادة وعندما سألت عن هذه الواقعة بعد الحرب قيلت لى تفسيرات من أشخاص كانوا على مقربة من السادات بأنه أراد توضيح نيته فى عدم رغبته فى توسيع مسرح العمليات فى المنطقة أو دخول المدنيين فيه ولم يرد من الطيران أن يضربنا فى العمق ولكنى لم أقتنع بهذه التفسيرات لذلك أدنتها فى مذكراتى وحتى الآن لا أقر هذا الخطأ العسكرى الذى يستحيل البوح به .

ما هو تقديركم للخسائر التى كان من المفروض أن تترتب على عملية العبور وما حجم الخسائر الذى تحقق بالفعل ؟

قدرنا سقوط عدد كبير من الأفراد بين قتلى وجرحى فى عمليات العبور لأن من أصعب

العمليات العسكرية عبور الموانع المائية وقناة السويس إلى جانب قناة بنما تعـدان مـن أصعب الموانع المائية فى العالم بالإضافة إلى وجود خط بارليف على الضفـة الشـرقية للقناة ونار سيوقدها العدو .. الخسائر المقدرة خلال مرحلة الاقتحام كانت كثيرة ولذلك كانت سببًا دفعنا لمفاجئتهم بالحرب رغبة فى تقليلها ، ورصدنا عدد كبير من المقـاتلين فى الضفة الغربية ليحلوا محل الشهداء ولكن النتيجة النهائية كانت نجاح العمليـة بـأقل خسائر ممكنة بلغت ٢٪ من إجمالى من عبروا القناة بينما كان العدد مائة ألف مقاتل فـى الضفة الشرقية يتبعهم سبعة الآف فى الدقائق الأولى ثم ١٤ ألف بعد سـاعة ونصـف ، بلغ عدد الخسائر ٢٤٨ شهيدًا وهذا لا يقارن بما تم تقديره .

وما هى أبرز المشاكل التى واجهت القوات المسلحة خلال الساعات الأولى للحرب ؟

ردد المشير محمد عبد الغنى الجمسى السـؤال مـرة أخـرى علـى مسـامعى ثـم قـال : المشكلة الرئيسية التى واجهتنا وأزعجتنا فـى هـذا الوقـت كبـارى العبـور إذ كـان مـن المخطط إقامة عشرة كبارى يوم ٦ أكتوبر خلال ثمانى ساعات فى المنطقة من بورسعيد إلى السويس نظرًا لوجود خمس فرق ستقوم بالعبور وبالتالى يلزمها عشر كبـارى فـى المنطقتين ولكن حدث تعثر فى إنشاء كوبريين فى الجيش الثـالث ناحيـة السـويس فـى الجنوب وذلك لطبيعة الأرض الخاصة فى هذه المنطقة فاقيم كوبرى واحد بدلاً من اثنين لذلك استدعى الفريق أحمد إسماعيل قائد عام القوات المسـلحة مديـر المهندسـين مـن مركز العمليات بالقاهرة وأمره بإقامة الكوبرى حتى تعبر القوات وأمكن تـدارك الموقـف ولكن بعد أكثر من ساعتين وحتى لا يتأخر عبـور قواتنـا إلـى الضفـة الشـرقية تحمـل كوبرى واحد حمولة اثنين وهنا حدث الاكتظاظ والضيق .. هذه هى العقبة الرئيسية التى واجهتنا فى الساعات الأولى للحرب ماعدا ذلك سارت الأمور على ما يرام يومى الخامس والسادس من أكتوبر كما كان مخططًا لها .

أعلن السادات بعد حرب أكتوبر أنكم ستظلون وزير دفاع مصر مدى الحياة وأنك وآخرين من القادة لن تخلعوا الزى العسكرى مطلقًا ما دمتم على قيد الحياة .. فلماذا غير السادات رأيه فجأة وأخرجك من الوزارة .. هل هناك دلالات معينة

لخروجك فى ذكرى الاحتفال بنصر أكتوبر عام ١٩٧٨ ؟

كل ما يمكننى أن أقوله أن السادات استدعانى يوم الثلاثاء الموافق ٣ أكتوبر ١٩٧٨ ، بعد حوالى أسبوعين من اتفاقية كامب ديفد التى لم أحضرها ، ولم أتدخل فيها وقال لى السادات يومها أن مصر تدخل مرحلة جديدة فى تاريخها بعد اتفاقية كامب ديفيد و أن هذه المرحلة تستتبع تغيير الوزارة ، وكنت وقتها وزيرًا للدفاع فى وزارة ممدوح سالم ، وأضاف السادات قائلاً أن الدكتور مصطفى خليل يجرى الآن تشكيل الوزارة ، وسوف يحلف اليمين يوم الخميس وسوف أقوم بتعيين المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب وسوف تتغير القيادة العسكرية كلها .

ما هى حقيقة المقولة التى يرددها البعض أن السادات أراد حربًا محدودة ... وما الأسرار وراء هذه المقولة ؟

بالتأكيد هذا الكلام تم ترديده بعد انتهاء الحرب .. فهذا جائز .. أما أثناء الاشتباك على الجبهة فلم يكن أحد يفكر فى أن تكون المعركة محدودة ... وأتذكر أننى حضرت لقاء السفير السوفيتى بالدكتور محمد فوزى مساعد رئيس الجمهورية فى تلك الفترة ، فى اليوم الثالث للمعركة .. يوم ٨ أكتوبر .. ونقل السفير رسالة من الرفيق بريجينيف يتساءل فيها عما إذا كان الوقت حان للاستفادة من النجاح العسكرى وتحويله إلى قاعدة لمواصلة النضال السياسى من أجل تسوية القضية ، وإمكانية قبول وقف إطلاق النار على الخطوط الراهنة للقوات .. إلا أن الرئيس السادات استمر يرفض وقف إطلاق النار قبل أن يتحقق انسحاب إسرائيل ، بل أن السفير نفسه نقل هذا الكلام عن السادات نفسه عندما قال له نحن نريد حربًا محدودة وأن الهدف ليس إلحاق الهزيمة الكاملة بإسرائيل ، ربما يكون الوقت قد حان لفكرة سياسية إلا أن الدكتور فوزى كان يخشى ردود الفعل فى صفوف قواتنا لو أنها دعيت لوقف الحرب بينما تكبد القوات الإسرائيلية خسائر فادحة ، ويستمر تقدمها شرقًا وتم إبلاغ السادات من القادة السوفييت بضرورة توقف إطلاق النار إلا أن السادات رفض الاستجابة وطالب بضرورة استمرار السوفييت فى إرسال الإمدادات العسكرية .

ما هى علاقة حرب أكتوبر بمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية من حيث تنظيم التنافس بين الجانبين فى المجالات الاستراتيجية والسياسية ؟

تساءل مستنكرًا : معاهدة سنة ١٩٧٩ الخاصة بكمال حسن على والرئيس السادات لم أحضرها حيث تركت الخدمة فى أكتوبر ١٩٧٨ وليس لدى تفصيلات كثيرة عنها سوى معلومات سماعية كما ليس لى الحق فى الحديث عنها سواء بالخير أو الشر ولن أطعن فى عمل من صنع الآخرين .

هل أدت هذه المعاهدة بالفعل إلى أن تكون حرب أكتوبر آخر الحروب ؟

بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وهزيمتنا الساحقة فيها وقف ديان باعتباره بطلاً قوميًا فى إسرائيل والرجل العسكرى الأول من نوعه ليقول : " من كان يحلم أن يصل أمننا إلى هذا المستوى الرفيع فى يوم من الأيام ، لقد وصلنا إلى منطقة القناة فى الضفة الشرقية .. إن حرب يونيو ١٩٦٧ تعد آخر الحروب فى المنطقة " ، كما أشار الرئيس السادات بعد اتفاقية كامب ديفيد إلى آماله أن تكون حرب أكتوبر آخر الحروب أما – أنا – فلا أعتقد ذلك لأن حرب أكتوبر ليست نهاية الحروب ولأن الصراع العربى الإسرائيلى ممتد وسيظل لسنوات كثيرة قادمة ، لقد حتمت علينا الظروف قيام حرب رابعة فى أكتوبر ١٩٧٣ وإذا عادت نفس الظروف ستكون هناك حرب قادمة لتحل الصراع ، لذا أستبعد كلمة آخر الحروب طالما أن الصراع العربى الإسرائيلى لم ينته . والوقت لازال طويلاً فقد استغرقت إسرائيل خمسين عامًا منذ قيام مؤتمر بال فى سويسرا عام ١٨٩٧ لكى تقيم دولة ومر الآن خمسون عامًا أخرى ولا تزال تمهد المنطقة لإتساع نفوذها بها وهذا الوضع يحتم قيام حروب أخرى من وجهة نظرى.

وهل أثرت اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية على إقامة صناعة سلاح محلية أو عربية ؟

مع شديد الأسف .. بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ أنشئت الهيئة العربية للتصنيع كدرس مستفاد مما حدث لنا وكانت تضم مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات وقطر ولكن بعد اتفاقية كامب ديفيد انسحبت الدول العربية من الهيئة لتصبح مصرية وبعدها

تقدمت صناعة السلاح بها على مدى عامين أو ثلاثة لم تنتج إلا القليل فأوقفت وتعثرت مما جعل إسرائيل تتفوق على الدول العربية فى صناعة السلاح وأتمنى أن تتاح الفرصة من جديد للعرب حتى يكون لهم صناعة سلاح ولدينا الإمكانيات لذلك التى تتحدد فى أفراد وفنيين وأموال للإنفاق .

وتأثير ما سبق على قيام وحدات عربية قتالية ؟

تساءل المشير الجمسى .. كدرس بعد الحرب ؟! أتمنى .. ولكن الخبرة علمتنا أنها تجربة وفشلت بعد نكسة ١٩٦٧ عندما رفع لواء " ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة " وخطط العرب ليتكتلوا وتم تشكيل قيادة شرقية يقودها قائد عراقى أساس قوتها سوريا والأردن والعراق استمرت فترة قصيرة ولكنها فشلت بسبب الحساسيات نظرًا لطبيعتها الغريبة وعندما جاءت حرب أكتوبر اختلف الموقف تمامًا هذا قبل الحرب أما بعدها فليس من حقى الحديث عنه .

سيادة المشير .. هل هناك اختلاف بين العقيدة العسكرية المصرية والعقيدة العسكرية الإسرائيلية ؟

العقيدة العسكرية المصرية تختلف عن الإسرائيلية حيث أن المصريين تبنوا العقيدة الشرقية التى تعلمتها القوات المسلحة المصرية عندما تعاونت مع الاتحاد السوفيتى وعادت الغرب بينما تبنى الجانب الإسرائيلى العقيدة الغربية الأمريكية وساروا على نهجها ، والعقيدتان متصارعتان ولكن المهم حسن استخدام الدولة للعقيدة التى تحقق أهدافها السياسية والوطنية ومعرفة كيفية تنفيذها .

وهل كانت هناك بدائل لحرب أكتوبر كما حدثت بالفعل - ما هى ؟ ولماذا لم يتخذ قرار إيجابى بشأنها ؟

ربت على كتفى مبتسمًا ثم تساءل مستنكرًا : بدائل يا ابنتى ؟! بعد حرب يونيو ١٩٦٧ تولدت مشكلة جديدة فى الصراع العربى الإسرائيلى وهى احتلال سيناء والجولان والضفة الغربية ولجأنا إلى ملجأ وحيد : الأمم المتحدة ومجلس الأمن اللذان ظلا يتخذان قرارات على مدى ستة أو سبعة أشهر حتى أعلن قرار ٢٤٢ ولكنه لم ينفذ ورصدوا

وسيطًا دوليًا ولكنه لم يأت بأية نتيجة ، وعندما سألنا مجلس الأمن فى يوليو ١٩٧٣ عما حدث خلال ثلاث أو أربع سنوات خرج ١٤ صوت من خمسة عشر فى صفنا لإدانة الجانب الأمريكى الذى استخدم الفيتو وسقطت بذلك القضية ووقتها كان الصراع محتدمًا بين أمريكا التى اتخذت إسرائيل جانبها وروسيا التى أخذنا جانبها فلم يكن هناك بديل سوى الحرب وبناء عليها بدأ التخطيط لها .

فى حرب ١٩٧٣ كان هناك موقف عربى موحد .. لماذا نفتقده الآن ؟

تساءل مندهشًا .. أين هذا الموقف العربى الموحد ، حرب أكتوبر تمت بواسطة مصر وسوريا أما باقى الدول العربية فترك لها الأمر كى تساهم بالطريقة التى تراها مناسبة .

ولكن عندما ظهر موضوع البترول بعد اليوم العاشر للمعركة نجح هذا السلاح الذى يعد امتدادًا للحرب ولكنه لم يحرر الأرض ، لا ننكر فضل الدول البترولية ونذكر قيمة استخدامه كسلاح .

"ليس البترول العربى أغلى من الدم العربى" مقولة شهيرة للشيخ زايد وقت الحرب كيف تقدرون مواقفه القومية تجاه حرب أكتوبر والتجهيز لها ؟

لقد سجل التاريخ هذه المقولة الخالدة للشيخ زايد وهى حكمة نعتز بها دليلاً على موقفه القومى الشريف ولا أحد ينكر فضل استخدام البترول كسلاح فى الحرب كما أن بعض الدول العربية ساهمت بقوات عسكرية رمزية فى بعض الجبهات باتفاق ثنائى بين الدولتين وإن لم يكن هناك تعاون عسكرى كامل على مستوى الدول العربية كلها .

وهل تم استثمار نتائج حرب أكتوبر لصالح الوضع العربى أم أنه كان استثماراً جزئيًا لفترة ؟

صمت المشير الجمسى قليلاً ثم قال : استثمر بواسطة مصر الاستثمار الكامل لأنه ترتب عليه عودة سيناء إلينا وأرض سيناء أريق من أجلها كثير من الدماء كى تعود وليس من الإنصاف أن ننسب عودتها لمبادرة السلام وزيارة الرئيس السادات للقدس حيث فى ذلك تقليل للقيمة العسكرية للحرب فلولاها لاستحال ذهاب السادات للقدس

واستحالت عودة سيناء التى اغتصبت عام ١٩٥٦ لتصبح جزءًا من دولة إسرائيل كما أعلن بن جوريون فى ذلك الوقت .

ولم تكن السياسة هى النافذة الوحيدة التى تطل منها على ملامح وسمات شخصية المشير الجمسى ... فوراء انضباطه الشديد وحزمه المشهور عنه ، يخفى روح رياضى على خلق رفيع ، وربما ساهمت ممارسته للرياضة فى صقل صفاته وخصاله التى تميز بها كمحارب عنيد ، فالرياضة كالحرب .. تحتاج إلى دقة ولياقة وتركيز وحسن توقع وحسم قرار ، وهى أيضًا كالحرب فيها المنتصر والمهزوم ولكن الفارق أنه فى الرياضة تحيى منافسك وتشد على يده ، وفى الحرب تتعامل كفارس نبيل لا تشتمت فى أعدائك ولا تنتقم منهم .

المشير الجمسى يتمتع بالحزم والانضباط ، فهل هناك صفات أخرى تميزت بها منذ الصغر وكشفتها الرياضة وأهلتك للحياة العسكرية ؟

كان لدى ميول للقيادة وسط زملائى ، ورغبة فى التميز مما دفعنى لدخول الكلية الحربية حتى أشعر برجولتى مبكرًا وقيمتى المعنوية وسط أقرانى ، وأذكر أننى بعد انتهاء الدراسة الثانوية أردت اختيار كلية من اثنتين إما " الحقوق " أو " الحربية " وفضلت " الحربية " ولم يكن فى قريتنا وقتئذ سوىَ " شاويش " .. أما الضابط صاحب السلطة والنفوذ فلم يرق إلى منصبه أحد فى عائلتنا ، أو قريتنا بأكملها ، أو حتى القرى المجاورة ، وعندما دخلت الكلية الحربية ، بعد معايير اختيار دقيقة أصبحت أشهر أبناء قريتى وكان أهلها ينظرون إلى كحامى الحمى والمدافع الأول عنهم ضد الإنجليز والاحتلال .

وكيف يسير برنامجك اليومى الآن ؟

نظرًا لتقدمى فى السن فقد شعرت منذ فترة بإجهاد شديد ، فذهبت إلى المستشفى العسكرى العام بالقاهرة ، وعندما كنت بمكتب مدير المستشفى سقطت مغشيًا علىَّ ، وعندما فحصنى طبيب القلب أقر بإصابتى بأزمة قلبية وأمر بتحويلى إلى غرفة العناية المركزة ، وقضيت بها شهرين ، بعدها سافرت إلى لندن ، وهناك وضعوا لى نظامًا للعلاج يقتضى المشى لمدة ساعة يوميًا والامتناع عن التدخين ، وتناول الطعام منزوع

الدسم ، ومنذ هذا الوقت لم يتغير برنامجى اليومى حيث استيقظ فى السادسة صباحًا لأقرأ الصحف وأتناول فطورى حتى الثامنة و النصف ، أذهب بعدها إلى النادى لأبدأ فى السير لمدة ساعة حول ملعب الكرة الذى تبلغ مساحته ألف متر فأجوب أرضه أربع مرات حتى يبلغ مجموع المسافة التى أقطعها ٤ كيلومترات ، وإذا أغفلت هذه الرياضة فى أحد الأيام أشعر وكأنى مقصر فى حق نفسى ، وبعد ذلك أجلس للقراءة خاصة فى الكتب السياسية والإستراتيجية والعسكرية ، حتى يحين موعد غذائى ما بين الثانية والثالثة ، ثم أعود إلى المنزل وأحافظ على موعد نومى فى الحادية عشر مساء لأننى لا أحب السهر ولا أشاهد مطلقًا ما يذاع فى التلفزيون بعد الثانية عشرة ، حيث أعتبر ذلك ضربًا من الجنون .

وهل تتابع حركة السينما أم تفضل الجلوس إلى الشاشة الصغيرة ؟

كنت متابعًا للسينما ولم يفُتنى فى السابق أى فيلم لم أشاهده حيث كانت السينما وسيلة الترفيه الأولى قبل ظهور التلفزيون خاصة الأفلام ذات المغزى ، فشاهدت أغلبها سواء المصرية أو الأجنبية .

أما التلفزيون فأتابع فيه المحطات الفضائية ، خاصة C.N.N لأطلع على الأحداث فى كافة دول العالم وأعلم بتطورها عن طريق البرنامج الإخبارى الدولى الذى يبدأ فى العاشرة مساء يوميًا .